المقدمة التمهيدية

في أدب كل البلدان نجد أن عددا لا بأس به من الأعمال يتناول بشكل خاص موضوع الحب. . وفي كل مكان يتم تناول هذا الموضوع بطريقة مختلفة ومن وجهات نظر متعددة. أما في هذا العمل يتم تقديمه لإعطاء ترجمة متكاملة لما هو متفق عليه أن يكون المبادئ الأساسية للحب في الأدب السنسكريتي وهو ما يطلق عليه "كاما سوترا لفاتسيايانا" أو "الحكم في الحب لفاتسيايانا".

بينما تتناول مقدمة هذا العمل الدلائل الخاصة بتاريخ كتابة العمل وأهم التعليقات عليه، تتناول الفصول التالية للمقدمة، ترجمة العمل نفسه. لذا كان من الضروري اعطاء نبذة مختصرة عن الأعمال التي لها نفس طبيعة هذا العمل والتي قام بإعدادها وكتابتها بعض المؤلفين الذين عاشوا بعد وفاة فاتسيايانا بعدة سنوات والذين لا يزالوا يؤمنون بأنه المنبع الرئيسي للإستشهاد به والإقتباس من أقواله والمرشد الأساسي لأدب الحب الهندي.

فإلى جانب بحث "فاتسيايانا" حول الحب هناك بعض الأعمال التي تتناول نفس الموضوع في الهند وهي كالأتي:

- أسرار الحب أو "رايتراهاسيا Raitrahasya".

- خمسة أسهم أو "بانشاساكيا Panchasakya".
- ضوء الحب أو "سمارافراديبا Smara fradipa".
- إكليل الحب أو "رايتمانجاري Raitmanjari".
- برعم الحب أو "راسمانجاري Rasmanjari".
- مرحلة الحب أو "أنونجا رونجا Anunga Runga".

أو قارب في محيط الحب أو "كامالي ليدهيبلافا Kamaledhiplava" .

مؤلف كتاب "أسرار الحب" هو الشاعر "كوكوكا Kukkoka" وقد ألف هذا العمل لإرضاء أحد الملوك. وعند كتابة اسمه في نهاية كل فصل كان يطلق على نفسه اسم "سيدا باتيا باندينا Siddha Patiya Pandita" أو رجل عبقري وسط مجموعة من الرجال المتعلمين. وقد تُرجم هذا العمل إلى الهندية منذ عدة سنوات وتمت كتابة اسم المؤلف على أنه "كوكا Koka" وتم وضع نفس الاسم على جميع الترجمات إلى اللغات الأخرى في الهند. وبذلك أصبح الكتاب معروفا للجميع وأطلق على موضوع الكتاب "كوكا شاسترا Koka Shastra" والذي يتماثل مع "كاما شاسترا Kama Shastra" أو "مذهب الحب" وقد تم استخدام كلمات "كوكا شاسترا" و"كاما شاسترا" بعد ذلك بلا تمييز أو تقييد .ويحتوي العمل على نحو ثمانمائة بيت من الشعر مقسما إلى

عشرة فصول والتي أطلق عليها "باشيفيداس Pachivedas" وبعض الموضوعات التي تناولها هذا العمل لم تتواجد في عمل فاتسيايانا على سبيل المثال الأربعة فصول التي تتناول النساء: "البادميني Padmini"، "شيتريني Chitrini"، "شانكيني Shankini"، "وهاستيني Hastini". كما ذكر الأيام و الساعات التي تكون فيها المرأة – من مختلف الطبقات – راغبة في الحب. وقد أضاف المؤلف أنه قام بكتابة هذه الأشياء مستندا إلى أراء "جونيكابوترا Gonikaputra" و"ناندیکشوارا Nandikeshwara" واللذان ذكرهما فاتسيايانا أيضا في كتابه على الرغم من أن أعمالهما غير موجودة الأن. من الصعب إعطاء تاريخ محدد لتأليف هذا العمل. ولكن يمكن التأكيد على أن هذا العمل تم تأليفه بعد عمل فاتسيايانا وقبل الأعمال الأخرى التي تتناول نفس الموضوع والتي لا تزال موجودة. وقد ذكر فاتسيايانا أسماء عشرة من المؤلفين الذين تناولوا هذا الموضوع والذي استمد أفكاره من كتاباتهم ولكن أيا من هذه الأعمال غير موجود الآن وهذا يؤكد أن "كوكوكا" قد قام بتأليف عمله هذا بعد فاتسيايانا وإلا لوجدنا أن فاتسيايانا يذكر اسمه كأحد المؤلفين لهذا الفرع من الأدب مع اسماء المؤلفين الأخرين.

أما مؤلف "خمسة أسهم" فيلقب برئيس الشعراء، كنز الفنون

الأربع وستون وأفضل معلم لقواعد الموسيقى. وقد ذكر أنه قام بتأليف الكتاب بعد الأطلاع على أحكام الحب التي أوضحتها الآلهة وبعد دراسة أراء "جونيكابوترا"، "مولاديفا Muladeva"، "بابهرافيا Babhravya"، "راميتيديفا Ramtideva"، "ناديكشوارا Nandikeshwara"، و"كشيماندرا Kshemandra". من المستحيل معرفة ما إذا كان المؤلف قد درس كل هذه الأعمال أم أنه قد سمع عنها فقط.. على أي حال، لا يبدو أن أي عمل لهؤلاء المؤلفين موجودا الأن. أما "خمسة أسهم" فهو يتكون من ستمائة بيت من الشعر وتم تقسيمه إلى خمسة فصول و تسمى "سایاکاس Sayakas" أو "الأسهم".

أما كتاب "ضوء الحب" فهو للمؤلف الشاعر "جوناكارا Gunakara" سليل "فيشاباتي Vechapati" ويحتوي العمل على أربعمائة بيت من الشعر. ويتناول جزء صغير من العمل مبادئ الحب بينما يتناول الجزء الأكبر أمور الحياة الأخرى.

أما كتاب "إكليل الحب" فهو للشاعر المشهور "جاياديفا Jayadeva" والذي قال عن نفسه أن بمقدرته الكتابة في كل الموضوعات وعلى الرغم من ذلك نجد أن هذا البحث قصير للغاية ويحتوي فقط على مائة وخمسة وعشرين بيتا من الشعر.

أما مؤلف كتاب "برعم الحب" فهو الشاعر "بهانوداتا Bhanudatta" ويتضح من البيت الأخير من الشعر في بحثه أنه كان مقيما في مقاطعة "تيرهوت Tirhoot" وكان ابنا لرجل البراهمان "جانيشوار Ganeshwar" والذي كان شاعرا هو الآخر. وقد كتب هذا العمل باللغة السنسكريتية، موضحا الطبقات المختلفة للرجال والنساء، وهذه الطبقات مقسمة وفقا لأعمارهم، هيئاتهم وصفاتهم.. إلخ. ويحتوي هذا العمل على ثلاثة فصول وتاريخ هذا العمل أيضا غير معروف ولا يمكن التأكد منه.

أما كتاب "أنونجا رونجا" أو "مرحلة الحب" فقد قام بتأليفه الشاعر "كوليانمول Kullianmull" من أجل إمتاع "لادكاهان Ladkhan" سليل "أحمد لودي Ahmed Lodi" والذي يعتقد أن له صلة ما بعائلة "لودي Lodi" والتي تولت الحكم في هندوستان منذ ١٤٥٠ – ١٥٢٦ بعد الميلاد، وبالتالي من المؤكد أن العمل قد تم تأليفه في القرن الخامس أو السادس عشر، ويحتوي الكتاب على عشرة فصول وتم ترجمته إلى الإنجليزية ولكن طبع منه ستة نسخ فقط للتداول. ويعتقد أن هذا العمل هو آخر الأعمال السنسكريتية التي تتناول موضوع الحب. ومن الواضح أن أفكار هذا العمل مأخوذة من أعمال سابقة ذات نفس الطبيعة.

إن محتوى هذه الأعمال يعد تحفة أدبية حيث نجد في الشعر السنسكريتي والدراما السنسكريتية على حد سواء قدرا من الرومانسية والأحاسيس التي تعبر عن كل بلدة وعن كل لغة كما تلقي بهالة ضوئية مقدسة باقية حول هذا الموضوع. أما في هذا العمل فقد تم تناول الموضوع بطريقة واضحة وبسيطة وكحقيقة ثابتة.
فنرى أن الرجال والنساء مقسمون إلى طبقات وأقسام بنفس الطريقة التي قسم بها "بافون Buffon" وكتاب التاريخ الطبيعي الأخرون عالم الحيوان. فكما ترمز "فينوس Vinus" للجمال في النساء عند الإغريق نجد أن "بادميني Padmini" أو "لوتس Lotus" هي النموذج المثالي للأنوثة لدى الهندوس.

يطلق على المرأة "بادميني" عندما تتميز بالصفات التالية: ذات وجه بهيج كالقمر في تمامه، ذات قوام متناسق وناعم كزهرة "الشيراز Shiraz" أو "المسترد Mustard"، ذات بشرة جميلة، رقيقة مثل زهرة اللوتس الصفراء، لا ترتدي الألوان الداكنة، ذات عينان لامعتان أخاذتان حادتان ومحمرة الجوانب مثل عيون ألهة الفون – أحد ألهة الحقول لدى الرومان –، ذات ثدي ممتلئ عال وقوي، ذات رقبة جميلة وأنف مستقيم جذاب، أما فرجها فيماثل برعم اللوتس المتفتح وتفعم منها روائح عطرة مثل روائح زهور الليلي، تمشي في رقة ودلال

مثل طيور الأوز، صوتها موسيقي خفيض مثل طائر "الكوكيلا Kokila"، ترتدي الملابس البيضاء والحلي الثمينة، تأكل القليل من الطعام، تنام في خفة، زكية، فاضلة، متدينة، تحترم الألهة وتسارع في عبادتها، تستمتع بالحديث مع رجال البراهمان. وما سبق هو وصف تفصيلي لامرأه اللوتس أو البادميني.

يلي ذلك وصف تفصيلي لامرأة الفن أو "الشيتريني" ثم امرأة المحارة أو "الشانكيني" وامرأة الفيل أو "الهاستيني". كما يوضح أيام متعتهن، طرقهن المختلفة في إظهار عواطفهن، طرق تدليلهن ومداعبتهن أثناء الأتصال الجنسي، كما يوضح أيضا خصائص وصفات الرجال والنساء في مختلف بلدان "الهندوستان" وتحتوي هذه الأعمال على تفاصيل دقيقة غير معدودة، كما تم تناول هذه الموضوعات بجدية و بشرح مطوّل بحيث لا يسمح الوقت أو المساحة لعرضها هنا.

وهناك عمل وحيد في اللغة الإنجليزية يشبه إلى حد ما هذه الأعمال الهندية ويسمى "قوانين جمال الأنثى" والتي تعد المبادئ الأولي لهذا العلم والتي ألفها "T.Bell.M" والتي أوضحها في أربعة وعشرين فصلا وتمت طباعتها في لندن عام ١٨٢١ وتتناول الجمال، الحب، الإتصال الجنسي، القوانين المنظمة للجماع، الزواج الأحادي – الزواج مرة واحدة –، تعدد الزيجات – الزواج عدة مرات –

البغاء، الخيانة الزوجية وتنتهي بعيوب جمال الأنثى.

وقد تناولت بعض الأعمال الأخرى في الأنجليزية بالتفصيل الحياة الخاصة والحياة الأسرية على سبيل المثال: "مبادئ العلم الإجتماعي أو الديـن المـادي، الجنـسي والطبيعـي" لمؤلفـه دكتـور الطـب "Doctor of medicine" في لندن عام ١٨٨٠ "كتاب لكل النساء" لمؤلفه "الدكتور ووترزDr. Waters" عام ١٨٢٦. ولمن يرغب في مثل هـذه الموضـوعات، سـيجد أن هـذا العمـل يحتـوي على هـذه التفاصيل التي كان نادرا نشرها فيما سبق والتي يجب أن يعيها كل من المحبين للعلوم البشرية والأنسانية بالمجتمع.

بعد دراسة الأعمال الهندية والكتب الإنجليزية المذكورة سـابقا، سـيتمكن القـارئ من فهـم موضـوع الحب من وجهات نظر مادية، واقعية وعملية.

ومن المؤكد أنه إذا ما تأسست كل العلوم على وقائع مؤكدة فلن يكون هنـاك أي تضـرر من معرفـة البشـرية للأمـور المتصـلة بحيـاتهم الخاصة، الأسرية والأجتماعية. وعلى الصعيد الآخر، فإن الجهل بهذه الأسس يؤدي – للأسف – إلى ضعف إدراك الرجال والنساء لهذه المبادئ الهامة ويؤدي إلى عدم قدرتهم على استيعابها رغم أنها تستحق المعرفة والأخذ بعين الإعتبار.

وقد يكون من الشيق لبعض الأشخاص أن يتعرفوا على كيفية إلقاء الضوء على كتاب "فاتسيايانا" وإختياره ليترجم إلى اللغة الإنجليزية، لقد حدث ذلك عندما قام المثقفون بترجمة كتاب "انونجا رونجا" أو "مرحلة الحب" فكثيرا ما وجدوا ملحوظات عن "فاتسيايانا" مثل: كان رأي الحكيم "فاتسيا" هكذا أو قال الحكيم "فاتسيا" هذا . . وهكذا دواليك، ولذلك كان من الطبيعي أن تُطرح أسئلة عمن يكون هذا الحكيم، وأجاب بعض المثقفين أن "فاتسيايانا" كان مؤلف العمل الذي يعتبر المعيار الأساسي للحب في الأدب السنسكريتي لدرجة أنه لا تكتمل المكتبة السنسكريتيه بدونه. وأنه من الصعب الحصول على هذا العمل في حالة مكتملة الآن، لدرجة أن المخطوطة الأصلية التي إستطاع المثقفون الحصول عليها في بومباي كانت بها العديد من الأخطاء، ولذلك قاموا بالكتابة إلى "بيناريسBenares" و"كالوتا Calcutta" و"جايبورJaipur" من أجل الحصول على نسخ لهذه المخطوطة من المكتبة السنسكريتية التي توجد هناك، وبالفعل تم إرسال النسخ لهم، فما كان منهم إلا أن قاموا بمقارنة النسخ ببعضها وبمساعدة شروحات يطلق عليها "جايامنجلا Jayamangla" تم إعداد نسخة تمت مراجعتها من المخطوطة كلها، وفيما يلي شهادة كبير المثقفين عنها:

"لقد قمت أنا بتصحيح هذه المخطوطة بعد مقارنة أربع نسخ من هذا العمل وقد قام "جايامانجلا" بمساعدتي في أول خمسة أجزاء من هذه الشروحات ولكنني وجدت صعوبة بالغة في تصحيح باقي الأجزاء لأنه بإستثناء نسخة واحدة – التي يمكن أن تكون صحيحة بشكل ما – كانت باقي النسخ بعيدة كل البعد عن الصحة، ومع ذلك فقد أخذت من باقي الأجزاء ما إجتمعت عليه غالبية النسخ من نصوص صحيحة" .

إن كتاب فاتسيايانا "الحكم في الحب" يحتوي على حوالي ألف ومائتان وخمسون من الأشعار مقسمة إلى أجزاء والأجزاء مقسمة إلى فصول والفصول إلى فقرات. أي أن العمل ككل يتكون من سبعة أجزاء، ستة وثلاثين فصلاً وأربعة وستين فقرة، أما عن المؤلف فلا أحد يعرف عنه شئ تقريبا ويُعتقد أن اسمه الحقيقي"مالياناجا Mallinaga" أو "مريلانا Mrillana" أما عن الأسم فاتسيايانا فهو اسم عائلة (لقبه) و هذا هو ما كتبه عن نفسه في نهاية عمله:

"بعد القراءة والأخذ في الإعتبار أعمال بابهرافيا وبعض المؤلفين القدماء الآخرين والتفكير في معاني القواعد التي ذكروها، تم تأليف هذا الكنز طبقا لنصائح "السفر المقدس" من أجل نفع العالم أثناء الفترة من حياتي التي كنت فيها طالبا دينيا في "بيناريس" حيث

إنغمست كليا في تأمل الآلهة، وهذا العمل يجب أن لا يُستخدم كأداه لإشباع إحتياجاتنا، فالشخص الملم بالمبادئ الحقيقية لهذا العلم و الذي يحتفظ بالـ "دارما Dharm" (أي الفضيلة أو الإستحقاق الديني) والـ" آرثا Artha" (أي الغنى الدنيوي) و الـ "كاما Kama (أي المتعة أو الإرضاء الجنسي) . و الذي يستطيع التحكم في غرائزه بكفاءة، يتمتع بالذكاء وسعة العلم والإطلاع، ولديه حضور للدارما والآرثا والكاما من دون أن يصبح عبدا لعواطفه سيصبح النجاح حليفه في كل ما يفعل.

إن من المستحيل تحديد تاريخ كل من حياة فاتسيايانا أو عمله، ولكن يُعتقد أنه عاش في الفترة ما بين القرنين الأول والسادس للعصر المسيحي، طبقا للأسس الأتية: قام فاتسيايانا بذكر "ساتكارني ساتفهان Satkarni Satvahan" ملك "كونتال Kuntal" والذي قتل زوجته "مالايافاتي Malayavati" بطعنها بآلة تسمى "كارتاري Kartari" بدافع عاطفة الحب. وقد إقتبس فاتسيايانا هذا المثال لتحذير الشعوب من الخطر الناتج عن العادات القديمة لضرب النساء تحت تأثير الحب. . ويُعتقد أن هذا الملك قد عاش وتولى الحكم أثناء القرن الأول الميلادي وبالتالي لابد أن فاتسيايانا قد عاش بعده، على الجانب الآخر، قام "فيراهاميهيرا Virahamihira" في الفصل الثامن عشر من كتابه "بريهاتسانهيتا Brihatsanhita" والذي يعالج

فيه علم الحب بالإستشهاد بالكثير من أقوال "فاتسيايانا" حول هذا الموضوع. و يقال أن "فيراهاميهيرا" قد عاش في القرن السادس الميلادي ولذلك لابد أن يكون "فاتسيايانا" قد كتب عمله هذا في الفترة ما بين القرن الأول الميلادي والقرن السادس الميلادي.

ما وجد من شروحات حول كتاب "حكم الحب" لـ "فاتسيايانا" هما أثنان فقط: أحدهما يدعى "جايامنجلا" أو "سوترا باشيا Sutrabashya" و الآخر يدعى "سوترا فريتي Sutra vritti" وتاريخ "جايامنجلا" ثابت بين القرنين العاشر والثالث عشر بعد الميلاد لأنه أثناء معالجة الفنون الأربعة وستون تم أخذ مثال من كتاب "كافيابراكاشا Kavyaprakasha" والذي تمت كتابته في القرن العاشر الميلادي. ونسخة الشروحات التي جمعت كانت بكل تأكيد نسخة من المخطوطة والتي كان لها مكانا يوما ما في مكتبة ملك عائلة "تشاولوكيا Chaulukya" والذي يدعى "فيشالاديفا Vishaladeva" وقد تم أخذ الحقيقة التالية من الفقرة التي وردت في نهاية هذا الكتاب:

"هنا ينتهي الجزء المتعلق بفن الحب في الشرح الخاص بفاتسيايانا "كاما سوترا" وتوجد نسخة من هذا الشرح في مكتبة ملك الملوك "فيشالاديفا " الذي كان بطلا قويا كما كان ثاني "أرجونا[1] Arjuna"

[1] "أرجونا " : في اللغة السنسكريتية تعني الطاووس أي يتميز بالجمال ، النقاء والتألق.

فضلا عن كونه الجوهرة الرئيسية لعائلة "تشاولوكيا" . ومن المعروف أن هذا الملك تولى حكم "جوجارات Gujarat" في الفترة من ١٢٤٤ إلى ١٢٦٢ ميلاديا كما أنشأ مدينة تدعى "فيسالناجور Visalnagur" . . ولذلك فإن تاريخ الشروحات لا يمكن أن يكون قبل القرن العاشر ولا بعد القرن الثالث عشر الميلادي ومؤلفه من المفترض أنه أحد الـ"ياشودهارا Yashodhara" وهو الإسم الذي أطلقه معلمه "اندرابادا Indrabada" عليه. ويبدو أنه قد قام بكتابته وقت مأساة إنفصاله عن زوجته، على الأقل هذا هو ما يقوله بنفسه في نهاية كل فصل، ومن المفترض أنه قد أطلق هذا الإسم على عمله تيمنا باسم عشيقته الغائبة أو على الأقل هناك صلة ما بين اسم هذا العمل واسمها .

وقد كان هذا الشرح مفيدا جدا في شرح المعاني الحقيقية التي أرادها "فاتسيايانا" لأن الشارح يبين ما يملكه من معرفة واسعة بالزمن الذي عاش فيه المؤلف، كما يُقدم في بعض الفقرات معلومات دقيقة جدا والتي لم تذكر في الشرح الآخر "سوترا فريتي Sutra vritti" وقد كُتب هذا الشرح تقريبا في عام ١٧٨٩ ميلاديا بيد "سارفيشوار شاستري Sarveshwar Shastri" سليل عائلة "بهاسكور Bahasku " تماما مثل مؤلفنا . ولذلك كان في خاتمة كل جزء يدعو نفسه "بهاسكور نارسنج شاستري Bhaskur

Narsing Shastri" وما دفعه لكتابة هذا العمل معلمه "راجا فريجالالا Raja Vrijalala" أثناء الفترة التي عاش فيها في "بيناريس" ولكن إحقاقا للحق فإن هذا الشرح لا يستحق الكثير من الإطراء لأنه في كثير من المواضع لا يبدو أن الكاتب يفهم المعاني الحقيقية التي أرادها "فاتسيايانا" وقد قام بتغيير النص في مواضع كثيرة ليناسب تفسيراته هو. وما يلي ترجمة كاملة للنص الأصلي تم إعدادها بالكامل وفقا لنص المخطوطة الأصلية وقد تم إخراجها كما كتبت بلا أي تعليقات إضافية.

openkandl.com